III - أهداف وغايات البيداغوجيا الفارقية

انطلاقا من المبادئ التي ترتكز عليها البيداغوجيا الفارقية نستنتج عدة أهداف وهي في أغلبها مشروعة وفي توافق مع طموحات الفرد والمجتمع. ويمكن ان نصنفها كالآتي:

1) أهداف تتصل بالمحتويات والطرق والأساليب
- تطوير المحتويات المعرفية (المناهج المدرسية) بما يتلاءم مع الأهداف والغايات.
- تنويع الطرق والأساليب واختيار أنجعها وذلك بحسب الأهداف المرسومة.
2) أهداف ذات طابع علائقي (العلاقة التربوية)
- تطوير العلاقة بين مختلف أقطاب العملية التربوية خاصة: معلم -أستاذ/تلاميذ.
- تحديد مختلف المهام المتصلة بالأطراف المتدخلة في العمل التربوي.
- تنسيق الجهود بين هذه الأطراف (تلميذ/ معلم/ ولي/ مؤسسة/ أدوار ثقافية...)
3) أهداف ذات طابع مؤسساتي
- إعادة تنظيم العمل المدرسي (عمل جماعي/مجموعي/فردي...)
- إيجاد أكثر مرونة في التوقيت والأدوار المتصلة بعمل المعلم أو الأستاذ.
- إعادة النظر في الطرق المعتمدة في التقييم.
4) أهداف تتصل بالإنتاجية
- الحد من ظاهرة الفشل المدرسي.
- التقليص من ظاهرة الهدر Déperdition.
- تطوير نوعية الإنتاج (ملامح خريجي المدرسة/الكلية...)
5) أهداف ذات طابع تربوي/ قيمي/ اجتماعي...
- اعتبار شخصية المتعلم في جميع أبعادها المعرفية/الوجدانية/الاجتماعية.
- إكساب قدرة أفضل على التكيف الاجتماعي والتفاعل الإيجابي مع المتغيرات.
- تطوير قدرة المتعلم على تحمل المسؤولية والاستقلالية والترشد الذاتي.
- خلق دافعية أفضل للعمل المدرسي والارتقاء الاجتماعي.
- تحويل القدرات إلى كفايات (أي إقدارهم على توظيف ما يكتسبونه من معارف في حياتهم اليومية).

البيداغوجيا الفارقية بين النظري والتطبيقي:

رغم قناعات أغلب المربين بالأسس النظرية لهذه المقاربة فلسفية كانت أم علمية فإن عددهم يبقى ضئيلا في تطبيق هذه المبادئ على المستوى الميداني.

وفي بحث قامت به وزارة التربية الفرنسية أبرز أن أكثر من 90% من المربين (معلمين أو أساتذة) مقتنعون بجدوى البيداغوجيا الفارقية إلا ان نسبة الممارسين الفعليين لا تتعدى 5%.

ولا شك أن الأسباب عديدة ومتنوعة، منها ما يتصل بالتلاميذ من حيث عددهم بالفصل وتفاوت صعوباتهم وتنوعها ومنها ما يتصل بالمؤسسة التربوية والمعلم أو الأستاذ... ولمزيد تفعيل هذه المبادئ السامية رأينا من الأنسب استعراض مختلف التجارب السابقة على المستوى الميداني والتي قام بها رواد البيداغوجيا الفارقية في العالم عبر التاريخ:

I - رواد البيداغوجيا الفارقية عبر التاريخ

أ -طريقة دالتون:Le plan Dalton

عرفت هذه التجربة بنظام دالتون نسبة للضاحية التي وقعت فيها (DALTON) وتوجد في مدينة MASSACHUSETTES في الولايات المتحدة الامريكية. وذلك ما بين سنة 1910 إلى سنة 1920 من قبل المربية HELENE PARKUREST وتقوم هذه التجربة على المبادئ التالية:

- منح كل تلميذ فرص العمل والتقدم في البرنامج حسب قدراته الحقيقية (مراعاة صعوباته الذاتية/مراعاة نسقه الخاص في التعلم...).
- إيصال كل التلاميذ إلى اهداف مشتركة.
- اعتماد مبدأ التعاقد في العمل بين كل من التلميذ والمعلم.

ويقع تنظيم العمل حسب النظام التالي بعد تقسيم التلاميذ إلى أفواج حسب حاجاتهم أو صعوباتهم...:

- الفترة الأولى: تحديد الأهداف وأساليب العمل (30 دقيقة).
- الفترة الثانية: عمل ضمن الورشات (مختلف المواد أو المحتويات) (2 س و30 دق)
- الفترة الثالثة: مناقشة الصعوبات والحلول (30 دق).

ب -التعلم الإفرادي: مدرسة MAIL بجينيف (سويسرا):

وهي تجربة استوحاها المربي ROBERT DOTTRENS من التجربة السابقة وقد قام بها في مدرسة ابتدائية سنة 1936 محاولا التوفيق بين التعليم الجمعي (Enseignement Collectif) والتعليم الافرادي (Enseignement Individualisé).

وتقوم هذه التجربة على الخطوات التالية:

- إلقاء الدرس على كافة تلاميذ الفصل من قبل المعلم أو الأستاذ.
- إجراء تقييم أولي تشخيصي ذي طابع تكويني.

- عمل فردي (إصلاح الأخطاء/دعم المكتسبات...).
- تقييم المكتسبات الحاصلة من قبل المعلم قصد أخذ القرارات الملائمة.
- عمل فردي انطلاقا من مدونة الفصل (Le fichier de la classe)
وتحتوي هذه المدونة على مجموعة من التمارين المتنوعة نذكر منها:
- تمارين دعم تتصل بنوعية أخطاء التلاميذ (Fiches de récupération)
- تمارين للتكوين وإثراء المكتسبات (Fiches d'enrichissement)
- تمارين ووضعيات للتعلم الذاتي. (Fiches d'auto-instruction)

ج -طريقة فراناي:C FREINET

تستهدف تجربة فراناي في التفريق البيداغوجي تدريب المتعلمين على الاستقلالية Autonomie والتكفل الذاتي بعملية التعلم (التعلم الذاتي) وذلك من خلال تشجيع المبادرات الفردية والعمل المجموعي (ضمن الأفرقة) وذلك بصفة تلقائية وتطوعية واختيارية عبر انجاز العديد من الأنشطة والتي نذكر منها:

- كتابة "النص الحر" Le texte libre
- المراسلة المدرسية La correspondance scolaire
- انجاز البحوث والزيارات الميدانية
- العناية بالتعاضدية المدرسية La Coopérative Scolaire
- اعداد النشريات والمجلات المدرسية
- انجاز مذكرات تعلمية متنوعة (بصفة تعاقدية)

والجدير بالملاحظة أن تلاميذ فراناي يمسكون بطاقات شخصية لمتابعة نتائجهم المدرسية وتطورها بصفة مستمرة.

أما مدونة فراناي فهي تشتمل على أربعة أنماط من المذكرات:

- مذكرات حسب الطلب Les fiches-demandes
- مذكرات الأجوبة Les fiches-réponses
- مذكرات روائز Les fiches-tests
- مذكرات اصلاح الروائز Les fiches-corrections

II - الآليات المعتمدة في البيداغوجيا الفارقية

تتمحور الآليات المعتمدة في البيداغوجيا الفارقية حول ثلاثة أقطاب أساسية: الأفراد/المعارف/المؤسسة.

1 – الأفراد: ويقصد بهم مجموعة المعلمين والمتعلمين في علاقتهم بالمعرفة والطرق المعتمدة في التدريس:

- اختلاف المتعلمين من حيث مكتسباتهم السابقة/قدراتهم على التعلم/مدى تحفزهم/الأساليب والاستراتيجيات التي يعتمدونها في التعلم...

• اختلاف المدرسين (معلمين أو أساتذة) في علاقتهم بالمادة المدرسة/مدى سيطرتهم على المفاهيم/تكوينهم البيداغوجي...

2 – المعرفة: ضرورة التعرض إلى مفاهيم النقل البيداغوجي (La transposition Didactique) أي مدى تباين المعرفة العلمية مع المعرفة المقررة في المناهج المدرسية والمعرفة المدرسة فعلا بالفصل.

3 -المؤسسة التربوية: تؤثر المؤسسة التربوية بهياكلها وأنظمتها المؤسسية (تنظيم الفضاء الصفي/وضع المقاعد/عدد التلاميذ بالفصل الواحد وطرق انتقائهم/نظام التقييم المعتمد/الأهداف والغايات التربوية المعلنة ومدى تطابقها مع نوعية التدريس/الوسائل المعتمدة/نظام العقوبات والحوافز...).

طرق التفريق البيداغوجي

1 -التفريق عن طريق المحتويات المعرفية

وهو أسلوب معروف جدا لدى المربين يعتمدونه خلال ممارساتهم البيداغوجية ويتمثل في تكييف المحتويات المعرفية حسب طاقة استيعاب التلاميذ ونسق تعلمهم وقدرتهم على بناء المفاهيم العلمية او حل المسائل...

فيكتفي المدرس مثلا بإملاء جملة أو جزء من نص الإملاء إلى مجموعة خاصة من التلاميذ ويواصل العمل مع التلاميذ المتفوقين أو يقترح على فريق من التلاميذ إنجاز تمارين بسيطة في الرياضيات مثلا في حين يقترح على البعض الآخر حل مسائل أكثر تعقيدا.

ويعتمد هذا الأسلوب في التدريس وفق مقاربة الكفايات الأساسية حاليا حيث أن المعلم مطالب بإيصال مختلف التلاميذ إلى تملك الحد الأدنى المشترك من المعارف الضرورية خلال درجة تعليمية محددة (أولى وثانية مثلا).

2 -التفريق عن طريق الأدوات والوسائل التعليمية

إن استخدام الوسائل والمعينات التربوية ضروري في مجال التدريس إلا أن نسبة جدواه ليست متكافئة بالنسبة للمتعلمين إلا بقدر توافقها مع النمط المعرفي الخاص بكل متعلم.

فهناك تلاميذ يستوعبون الدروس عن طريق الاستماع (إلقاء درس/محاضرة...) وآخرون عن طريق المشاهدة (استخدام الخطاطات التعليمية Schémas) ويتعلم البعض الآخر عن طريق الممارسة الحسية (إنجاز تجارب/القيام بزيارات ميدانية...)

ولا يتمثل الحل الأسلم في احترام هذه الأنماط المعرفية لدى الافراد المتعلمين لأن ذلك سيؤدي حتما إلى إغراقهم في تلك الأنماط الشيء الذي يحد من قدراتهم المعرفية وبالتالي يجعلهم غير قادرين على التعلم باعتماد أشكال مغايرة. ويبقى تنويع هذه

الأنواع والأساليب ضروريا لتمكين مختلف التلاميذ -حسب اختلافاتهم -من التعلم بأشكال متنوعة.

3 -التفريق عن طريق الوضعيات التعلمية Différencier par les situations d'apprentissage

الوضعيات التعلمية وضعيات مركزة حول مفاهيم التعلم، وهي وضعيات -رغم أنها من تصميم المدرس وإعداده -تتمحور حول المتعلمين وتأخذ بعين الاعتبار خصائصهم المعرفية والثقافية والاجتماعية (مكتسباتهم السابقة/ تصوراتهم/ صعوباتهم...)

ويشترط قبل بناء هذه الوضعيات طرح العديد من الأسئلة نذكر منها:

- ما هي الكفايات الجديدة التي سيصبح المتعلمون قادرون على أدائها؟
- ما هي الأنشطة المزمع القيام بها من قبل التلاميذ؟
- ما هي الوسائل والمعينات التي يمكن أن أضعها بين أيدي التلاميذ حتى أساعدهم على تحقيق الأهداف المرسومة؟
- كيف يمكن التحقق من النتائج المسجلة؟ (الوسائل المعتمدة في التقييم المرحلي والنهائي)
- في صورة عدم تحقيق الاهداف، ما هي الأخطاء أو العوائق التي تحول دون ذلك؟ كيف يمكن بناء وضعيات للدعم والعلاج الخاصة بهذه الأخطاء؟

هذه جملة من الأسئلة التي يشترط على كل أستاذ أو معلم أن يطرحها على نفسه خلال بنائه للوضعيات التعليمية.

ولا شك أن هذه الوضعيات التعلمية تختلف جذريا عن الوضعيات التعليمية (مركزة حول المعلم أو الأستاذ) حيث يقع الاهتمام على جوانب أخرى مثل: المحتوى الذي سيمرر للتلاميذ/الوسائط المعتمدة في هذه الوضعية/التقديم/الشرح/الأمثلة المعتمدة... وهذه بعض سلوكات المتعلمين في كلتا الوضعيتين:

الوضعيات التعليمية **Enseignement**	**الوضعيات التعلمية** **Apprentissage**
- يستمع/يستجيب لأسئلة المعلم أو الأستاذ	- يطرح أسئلة بصفة تلقائية
- يقدم إجابة/يعيد إجابة تلميذ آخر - يعلل إجابته	- يبحث/يجرب/يحاول
- يطبق قاعدة/ينجز تمارين	- يقترح حلولا/أفكارا بصفة تلقائية - يتبادل الأفكار مع زملائه ويناقشها

- ينفذ تعليمات/يسجل معلومات - يبقى صامتا	- يطرح فرضيات عمل/يتثبت من صحتها - يقيم/يصدر أحكاما...

ويتمثل التفريق البيداغوجي عن طريق الوضعيات التعليمية التعلمية في تنويع هذه الوضعيات بحسب حاجات المتعلم وخصائص الكفايات المستهدفة والضاغطات الزمنية وعدد التلاميذ بالفصل الواحد...

ويمكن أن يكون هذا التفريق حسب نمطين اثنين:

* التفريق المتتابع:

Différenciation successive ou alternative

* التفريق المتزامن:

Différenciation simultanée

أ -التفريق المتتابع: وهو نمط من التفريق اقترحه المربي Ph. Meirieu في كتابه:

L'école, mode d'emploi des méthodes actives à la pédagogie différenciée. (1985)

يهتم بتنويع الوضعيات التعليمية التعلمية تبعا للخصائص العرفانية للمتعلمين وحاجاتهم المعرفية وقدراتهم على التعلم والتقدم في المنهج الدراسي.

وهذا النمط من التفريق لا يستوجب إجراء تغييرات خاصة في نمط التدريس العادي والمعمول به في مدارسنا العادية.

ب -التفريق المتزامن: يعتبر هذا النمط أكثر تعقيدا وصعوبة في تنفيذه بالمقارنة مع النمط السابق حيث يقصد به تنويع الاهداف والأنشطة (المحتويات) في الآن نفسه بحيث يصبح تلاميذ الفصل الواحد بمثابة "خلية نحل" كل مجموعة (أو فرد) تقوم بمهمة خاصة تختلف في طبيعتها ودرجة صعوبتها عما ينجزه الآخرون...

ينظم الأستاذ أو المعلم فصله بحسب حاجات منظوريه ويقترح عليهم عدة أنشطة تأخذ بعين الاعتبار الصعوبات والثغرات أو العوائق التي يواجهونها.

ويستوجب تركيز هذا النمط من التفريق اعتماد مبدإ التعاقد Pédagogie du contrat مع الحرص على حسن تنظيم العمل وإحكام تنفيذه كما يوضحه الرسم التالي:

خـــــــاتمة

نخلص مما سبق إلى أن البيداغوجيا الفارقية ليست بنظرية جديدة في التربية أو طريقة مميزة في التدريس أو أسلوب أو تقنية بل هي تمش وروح عمل وممارسة تتمثل في الاعتراف بمكانة المتعلم داخل الوضعية التعليمية/التعلمية كعنصر فاعل

ونشيط له قدراته وكفاءاته وأنماط تعلمية فريدة كما أنه يواجه عدة صعوبات وعوائق خلال سيرورة تملك المعارف المدرسية تعود إلى عدة أسباب ذاتية ومدرسية واجتماعية وثقافية...

ويقوم هذا التمشي على عدة اعتبارات:

- سيكولوجية (معرفة المتعلم) وبيداغوجية (انتقاء أسلم الطرق والأساليب والأدوات)
- مؤسساتية (إعادة النظر في هيكلية الفضاء الصفي/التوقيت/عدد التلاميذ...) كما يستوجب اتخاذ عدة قرارات نذكر منها:

• الكف عن التدريس الجمعي وتجاهل الفوارق الفردية بين المتعلمين.
• إعادة النظر في صياغة أهداف الدروس وذلك بالأخذ بعين الاعتبار الصعوبات الفعلية للتلاميذ وخصوصيات الواقع المعيش.
• تنويع الطرق والأساليب المعتمدة في التدريس وبناء الوضعيات التعليمية التعلمية بما يتوافق مع مختلف الأنماط المعرفية للمتعلمين.
• تطوير أساليب التقييم المعتمدة وتنويعها (تقييم تشخيصي/تعديلي/نهائي...) وتوظيفها بصفة ناجعة خلال العملية التربوية.
• تخصيص حصص للدعم والعلاج تبعا للثغرات أو النقائص الملاحظة.

ومهما يكن من أمر، فالبيداغوجيا الفارقية -كروح عمل-تستوجب أيضا إعادة النظر في الأساليب الحالية المعتمدة في تكوين المدرسين ورسكلتهم لا على أساس تزويدهم بالجوانب النظرية بل بتدريبهم بصفة عملية على بناء وضعيات تعليمية تعلمية تعتمد مختلف أساليب التفريق البيداغوجي وإثراء تجربتهم الذاتية واستخدام التقنيات الحديثة في التدريس.

إلى جانب ذلك لا بد من مراجعة النواحي التنظيمية للعمل المدرسي وذلك بإعادة النظر في الهياكل المعتمدة لتنظيم الفضاء الصفي وتوزيع التلاميذ وعددهم بالفصل الواحد ونظام التوقيت والتقييم...